

جمالية الأمثال الجزائرية وأبعادها الإسلامية
THE AESTHETIC OF ALGERIAN PROVERBS AND ITS ISLAMIC APPEARANCES

الدكتورة صفية بن زينة¹، الباحثة: صابرة بن قراماز²

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

البريد الإلكتروني: safou-nour@hotmail.com

تاريخ النشر:	تاريخ القبول: 2021-01-09	تاريخ التحكيم:	تاريخ الإرسال: 18-12-2020
--------------------	--------------------------	----------------------	---------------------------

ملخص البحث

تعد الأمثال الشعبية رافدا من روافد الأدب الشعبي، إذ تحوي خصائص تميزها عن مختلف الأشكال الأدبية بما تتضمنه من تجارب الإنسان في الحياة العامة السائدة في المجتمع، حيث تأتي مختصرة بغية تداولها والاستفادة منها، كما تعد موروثا ثقافيا للشعوب، وهي بمثابة المرآة الصادقة التي تعكس طبيعة حياتهم؛ لأنها تعبر عن واقع وحقيقة مختلف العلاقات والفئات داخل المجتمع بكل شفافية.

وهذا المقال محاولة لذكر شيء من جوانب العناية بالأمثال الشعبية، والحث على تذاكرها، وعرض لجانب مهم منها، وما فيها من بلاغة وبيان، وقوة تصوير، ودقة ألفاظ، مع تتبع المرجعية الإسلامية وقيمها في نماذج من الأمثال الشعبية الجزائرية، لاكتشاف المظاهر والدلالات المرتبطة بالشعب الجزائري، والتي تعكس ثقافته وواقعه بمستوياته المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الأمثال، المقال، الأدب الشعبي، المرجعية.

Abstract:

The popular proverbs are a part of popular literature, as they contain characteristics that distinguish them from various literary forms, that they contain of human experiences in public life in society, where they come summarized in order to circulate and benefit of them, as well as a cultural patrimony of peoples, and it is like a true mirror that reflects the nature of their life; Because it expresses the reality of the different relationships, and groups within society With all transparency.

This article is an attempt to mention something of the aspects of caring for popular proverbs, and inducting it, and showing an important aspect of them, and what they contain of rhetoric and statement, power of depiction, and accuracy of words, while tracing the Islamic reference, and its values in Algerian popular proverbs, to discover the associated appearances and significances of the Algerian people, which reflects their culture, and reality at different levels.

Key words: proverbs, article, popular literature, reference.

مقدمة:

تأسست الثقافة الجزائرية في معظمها على ذخيرة حيّة وغنية من نصوص الأمثال الشعبية المتوارثة عبر الأجيال، والمنقوشة على صفحات الذاكرة، " وهي صورة من صور المنتوجات الثقافية في أشكالها البدائية الأولى"¹، وذلك لأن الشكل التعبيري فاعلاً أساسياً في بناء المشهد الثقافي لكل الأمم، ومدخل ضروري ورئيس لفهم التمثلات والأفكار.

وأسلوب ضرب الأمثال من شأنه أن يقرب المعاني إلى الأذهان ويزيدها روعة وجمالاً، إذ " يحمل حكمة الأمة، وفلسفتها، وخبرتها في الحياة"²، ولا شك أن ضرب الأمثال أشد وقعا في النفوس، مما يجعلها أقوم في الإقناع، لذلك حرص الأولون على ضرب المثل في حياتهم اليومية، بما يتماشى مع الأحداث، ويتلاءم مع المواقف بحسب اختلافها بناءً على طبيعة موضوع المثل، والغرض الذي سيق لأجله، وذلك لأنّ الأمثال ما هي إلا " قصص من تجارب الناس بقيت لها بمنزلة عناوينها"³ إذ نحاول من خلال هذا المقال أن نسلط الضوء على جانب من هذه الأهمية مع استعراض بعض الأمثال الشعبية المتداولة في الجزائر والسعي إلى استخراج الصور والتراكيب التي وردت فيها الأمثال؛ وذلك وعياً منا بأهميتها التشريعية واللغوية والبلاغية والجمالية.

تعريف المثل :

ترد لفظة مثلي المعاجم العربية بمعان كثيرة يرتبط أكثرها بالمشابحة والمماثلة، وفي لسان العرب "أن لفظة (مثل) بمعنى تسوية. يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبيهه وشبّهه بمعنى"⁴. ويرى عبد المجيد عابدين "أن الساميين أطلقوا لفظ (المثل) على فنون من التعبير بعضها موجز وبعضها مطول. أطلقوه على الكلمة الموجزة التي اكتسبت صفة الشيوخ والشهرة في الناس، والكلمة الجامعة المركزة الدالة على مهارة الصنعة والقدرة على الإلغاز والتعمية"⁵.

ويقول أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: "والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه. وليس من حفظ صدرا من الغريب فقام بتفسير قصده، وكشف أغراضه، وخطبه قادرا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها والإخبار عن المقاصد منها، وإنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية وتقدم في الدراسة."⁶

فهما كثر تعريفات المثل وتنوعت، إلا أنها لا تخرج جميعاً عن أنه "قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة"⁷. " وأطلق لفظ(مثل) على العبارة الموجزة الأدبية وتتميز بأنها تدل على عقل واع وتأمل بعيد، وصنعة ظاهرة في تنميق العبارة وتنسيقها"⁸.

إن الأمثال عامة من أهم فنون الكلام، لذيق مادتها وانتشارها بين الناس، وامتزاجها الشديد بلغتهم، وارتباطها بمختلف جوانب حياتهم، فهي بمثابة " تقرير لحقيقة كائنة، وتحديد لحدث معين، سواء أكان ذلك نتاج تجربة حية أم تصويراً لموقف عايشه الإنسان، أم كان أحدوثه، ويعد المثل تسجيلاً لموقف الجماعة من الأحداث الجارية أو المواقف الاجتماعية المختلفة، أو الحالات النفسية، أو أنماط سلوك الأشخاص إزاء الحياة والمواقف التي تعترضهم، ومن ثم فهو تسجيل لكل ذلك في ذاكرة المجتمع، وهو

كذلك تعبير عما يجب أو ما لا ينبغي من فعل أو سلوك إنساني⁹، وهي تعد مرآة لحضارة الشعوب وأخلاقها، وخلاصة لتجارب الأمم وخبرتها بالحياة، فهو " أدب الشعب وعنوان ثقافته"¹⁰، وإذا كان الدرس اللغوي يهدف إلى رصد ظواهر اللغة في ألفاظها وتركيبها، ووصفها وتحليلها؛ للوقوف على طبيعتها وخصائصها؛ فإن الأمثال تزداد أهمية في مجال الدرس اللغوي لأمرين:
- كون الأمثال تعتمد على الفطرة الأولى، تلك اللغة تتغلغل في أعماق النفس، وأغوارها¹¹، وتعبّر عن أغراض الناس دون تكلف.
- فهي ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى تداولوه فيما بينهم، وهو أبلغ من الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة¹².

- ولأن الأمثال أصدق دلالة على لغة الشعب لكونها تنبع من مختلف طبقاته، على محض السليقة، بخلاف لغة الشعر التي تنبع من طبقة الشعراء؛ فإنها قد لا تمثل طبيعة اللغة الكلامية.

وللمثل خصائص، يلخصها زايلر فيما يلي:¹³

- أنه ذو طابع شعبي .
- ذو طابع تعليمي .
- ذو شكل أدبي مكتمل .
- يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.

فوائد الأمثال السائرة :

تعد الأمثال الشعبية ذات أهمية في مجال الدرس اللغوي لكونها أوجز لفظا، وأدق فكرا، وأكرم معنى لما تشمله من أساليب الإيضاح والتعليم، ومنفوائدها:

أنها تقرب المراد للعقل؛ لأنها تصور المعقول بصورة المحسوس، فتجعل المعاني كالأشخاص، وهذا يشبهها في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، قال الزمخشري: "التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد"¹⁴، ويقول الأصفهاني: "لضرب العرب الأمثال شأن ليس بالخفق في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقّن، والغائب كأنه مشاهد"¹⁵.

ويستفاد من ضرب الأمثال أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث، والزجر والاعتبار، وتفخيم الأمر أو تحقيره، وفي هذا الصدد قال عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أئمة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من ناراها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا، وقسّر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفا، إن كان مدحا ... فإن كان ذما: كان مسه أوجع وميسمه أذع، ووقعه أشد، وحده أحد. وإن كان حجاجا: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أهر. وإن كان افتخارا: كان شأوه أمدّ، وشرفه أجدّ، ولسانه ألدّ. وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم

(الحقد) أسل ... وإن كان وعظا: كان أشقى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلي الغاية ويبصر الغاية، ويبري العليل، ويشفي الغليل¹⁶. وقالت العرب قديما: وبالمثال يتضح المقال؛ باعتبار الأمثال وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني.

وقد قال ابن المقفع (ت 134هـ): إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وآثق للسمع وأوسع لشعوب الحديث. وقال إبراهيم النظام (ت 231 هـ): يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة. كما قال ابن القيم الجوزية (ت 751هـ): "ففي الأمثال تأنس النفس سرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته"¹⁷، وإن المثل أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة كما ذكر القاسمي ذلك في معجمه عبارة ابن عبد ربه "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء"¹⁸.

وجاء ضرب الأمثال الشعبية لغرض نبيل وسام، يتمثل في إظهار المعاني في صورة محسوسة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، كما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يلجأ لضرب الأمثال بغية تقريب المعنى لذهن المتعلم وانطباعها في ذهنه، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن عمر فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي؟، فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا، حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة"، قال فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا¹⁹.

كما أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية؛ فقد آثر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ضرب المثل في بعض المواقف لغرض تربوي، تعليمي وتوجيهي مثلاً، فلما رآه الصحابة - عليهم رضوان الله - نائماً على حصير وقد أثر الحصر على جنبه فقالوا له: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فيقول: "مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"²⁰، وكان أسلوب ضرب الأمثال منهجاً رئيساً في السنة النبوية، يبحث النفوس على فعل الخير، ويحضها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والإثم، فقد روى مسلم بسنده من طريق أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير: فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة"²¹.

فالأمثال النبوية تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، كما تعمل على إظهار المعقول في صورة المحسوس، من خلال محاولة تقريبها للمعاني المراد توضيحها للمتلقي عن طريق تشبيه المجرد بالمحسوس، وقد اشتمل القرآن الكريم على العديد من الأمثال، نذكر منها قوله عز وجل: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَانَتْهُمْ حُمْرُ مُسْتَنْفِرَةٍ (50) فَارْتَمَوْا مِنْ قُسُورَةٍ (51)". سورة المدثر؛ حيث يشبه سبحانه وتعالى الكفار المعرضين عن الحق بحمر الوحش حال هروبها من أسد ضار يريد الفتك بها. لتلك الأغراض ضرب الأولون الكثير من الأمثال في مسائل وقضايا مختلفة وفي مواضع متعددة.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: " وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ". سورة الزمر، الآية 27. فللأمثال غايات وفوائد عديدة تكمن في إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة.

حظي المثل باهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ باعتباره وسيلة ذات أثر فعال من الوسائل التي تعينه على أداء مهمته في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب، فكان للمثل دور مهم ومكانة عند قومه.

ويأتي المثل على شكل قصة رمزية تدل على مغزى أخلاقي، وقد يكون رديف الحكمة؛ باعتباره عبارة موجزة يتداولها الناس؛ وتحمل فكرة حكيمة وتصاغ بأسلوب مجازي، وبكلمات لها أثر في النفس يسهل حفظها ونطلق عليها المثل السائر وهو حكمة أو إشارة ورب إشارة أبلغ من عبارة " كثيرة الذبوع من قديم تتضمن ملاحظة عامة، وغالبا ما تكون في أسلوب مجازي، وذلك كالمثل العربي العامي (البيضة ما تكسرش الحجر)، و المثل الفصيح (المورد العذب كثير الرحام)²².

وقد وردت كلمة (المثل) في القرآن الكريم، و تفيد معنى التوضيح والتميز والتأكيد، ومن ذلك قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ". سورة البقرة، الآية 26، و قوله كذلك في صيغة الجمع " وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ". سورة العنكبوت، الآية 43.

لقد وجدت الأمثال منذ القديم؛ باعتبارها وسيلة من وسائل التلميح أو التصريح، فهي تعكس الواقع بوجهة غير مُعلنة بل بوسيلة الترميز أحيانا، وباللباشرة في بعض الأحيان، وكلها تحمل مضمون تجربة أو حكمة أو عظة أو تنبيه، وقد سُجِّلَتْ بحكمة وحسن تدبير وتعكس حياة اجتماعية وأخلاقية ودينية، وبلغة سهلة؛ فيها الكثير من الأساليب البلاغية؛ ومرامها التأثير في المتلقي من خلال حَدَثٍ كان ذات مرة، وترك أثر لا يُمحى، وهي حِكْمٌ هدفها تعليمي أو وعظي أو إرشادي، وقد تجتمع كلها في مثل واحد²³.

الأمثال الشعبية الجزائرية - دراسة تطبيقية -

يشكل المثل الشعبي جزءا مهما من الثقافة الشعبية، التي يعتبرها بعضهم خلاصة تجارب الشعوب العريقة وبمناخ المرأة التي تعكس حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم وكذا معتقداتهم المتغلغلة في معظم جوانب الحياة اليومية، تعكس المواقف المختلفة، بل تتجاوز ذلك أحيانا لتقدم أنموذجا يُقتدى به في مواقف عديدة.

كما تساهم الأمثال الشعبية في تشكيل أنماط اتجاهات وقيم المجتمع. إذ يصاغ انطلاقاً من تجارب وخبرات عميقة، يحمل تراث أجيال متلاحقة، يتناقلها الناس شفاها أو كتابة، تعمل على توحيد الوجدان والطباع والعادات، ولذلك يعدها بعضهم حكمة الشعوب، وينبوعها الذي لا ينضب. كما أن " المثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال، وعصارة الأفكار لأجيال سبقتنا عبر التاريخ

الإنساني، وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون على صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام²⁴.

والتراث الشعبي في الجزائر، لا ينفصل بحال عن التراث الشعبي في باقي المناطق العربية الإسلامية؛ ذلك لما بينها من تآخ وتواصل جغرافي وثقافي وتاريخي، ووشائج تنبثق من ماضٍ مشترك وحاضر متشابه ومستقبل واحد، وحضارة صنعها الأجداد على مدى أحقاب متطاولة من الزمان، مما يعمق جذور الوحدة في هذا الوطن الواحد، ولكن ذلك لا يمنع من إغناء التنوع الحضاري الذي يبقى في إطار الوحدة. ففي الأمثال الشعبية " خلاصة الخبرة وأنماط الوعي المشترك والمعرفة المبكرة، فضلا عما تعكسه من تطور الوعي العربي، وتحولات المجتمع العربي القديم؛ فالأجيال تتناقل الأمثال وتوارثها ... من حقبة إلى أخرى²⁵.

وإذا كان الحديث عن الشعب الجزائري بخاصة، والشعب العربي بعامة، فإن التراث الشعبي يكون له أهمية مضاعفة، وتكون دراسته ملحة أكثر وأكثر، وذلك لما يضطلع به هذا التراث من دور في توجيه الشعب، ودعم صموده، وتعزيز وحدته.

وتكتسب الأمثال الشعبية قيمتها العلمية من اعتبارين أساسيين:

-أولهما وضعي: لأن واضعها العامة من الشعب الذي يعد المصدر الرئيسي.

-ثانيهما ضمني: أنها حددت الموقف الجماعي العملي لكثير من القضايا والأمور التي تواجه الإنسان في حياته اليومية، فكانت الأمثال خلاصة تجارب الأمم، ومستودع خبراتها، ومثار ذكرياتها، ورجع عاداتها ووقائعها، وترجمان أحوالها، ومصدر تراثها ومتنفس أحزانها، ومما تجدر الإشارة إليه " أن خبرات الإنسان وسلوكاته متشابهة في وظيفتها النفسية؛ بمعنى أن السلوك هو وسيلة الفرد للحصول على حاجاته الفزيولوجية والاجتماعية والنفسية، وقد أدى ذلك إلى تشابه كبير في مضمون الأقوال المأثورة الشائعة في ثقافات مختلفة، كما أن بعض الأقوال المأثورة تعبر عن فكرة مجردة فقط²⁶، فهي مرآة الأمة؛ التي تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح.

وتتعين الغاية من دراسة الأمثال الشعبية، بعدها وسيلة من وسائل معرفة المواقف الجماعية التي تحكم المجتمع وكشف عديد القضايا التي واجهت في فترات زمنية مختلفة ومتعاقبة، وللأمثال الشعبية القدرة على إظهار طبيعة الموقف وتوضيح نوعه، وكشف الستار عن أحداث وحقائق وتصورات ذهنية لأفراد المجتمع وهم يواجهون مواقف تقتضي الحكم عليها، فبواسطتها تكشف خفايا المجتمع التي سهت عنها بطون كتب المؤرخين²⁷

ومن هنا فقد آثرنا أن نقف أول ما نقف عند الأمثال الشعبية في بلد الجزائر، لتبين "أن للأمثال من الكلام موقعا في الأسماع، وتأثيرا في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها ... لأنها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة²⁸.

ففي موضوع الرزق مثلا نجد الأمثال التالية:

إِذَا غَطَاكَ الْعَاطِي، لَجَبَالُ تَوَاطِي

إِذَا بَعَا رَبِّي يَغْنِينَا يَشَقُّ السَّقُوفُ وَ يَعْطِينَا

هذان المثلان يتصلان بموضوع الرزق الذي ينشغل به كل إنسان في الحياة اليومية، ويقرآن بأن الرزق بيد الله الوهاب المعطي والمانع. وهو ما نجده في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" سورة الروم، الآية 37.

إذ الحسب حانه وتعالى بيده منة العطاء، فهو من يبسط الرزق لعباده ويقويه. قال تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَاؤُنَا". سورة النجم، الآية 48.

لذا يقال: رَبِّي خَلَّافٌ مَا هُوَ تَلَّافٌ

لكن ذلك لا يفهم منه الدعوة إلى التواكل في طلب الرزق، بقدر ما يرتبط بترسيخ الإيمان بقدرته الله، وكذا العمل على التقرب منه سبحانه لنيل فضله.

وقيل في موضوع القضاء والقدر :

إِلْمَكُتُوبٌ مَا مَتُو هُرُوبٌ

إِلَى مَكُتُوبٍ فِي لُجْبَيْنِ مَا تَمْحِيهِ يَدَيْنِ

كَيْ تَتَقَدَّرَ لِقْدَارُ تَعْمَى لَبَّاصٍ

تتمحور هذه الأمثال حول قضية القدر، فالإنسان المؤمن يفوض أمره لله ليقينه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يجري عليه إلا ما كتب الله له لقوله تعالى: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" سورة التوبة ، الآية 51.

أما عن موضوع دوام الحال من المحال فقالوا:

أَلْفُلْكَ يَدُورُ وَالسَّوَابِغُ بَدَّالًا

دَوَامُ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ

الدَّوَامُ يَثْقُبُ الرِّخَامَ

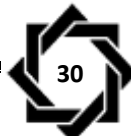
توضح هذه الأمثال، أن الحياة الدنيا غير دائمة، لا تستقر على حال، ولا تدوم لأحد، يقول الله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ". سورة آل عمران ، الآية 140.

وقالوا في موضوع الفرج :

بَيْنَ دَرَجَةٍ وَدَرَجَةٍ يَحْنُ مَوْلُ الرِّجَا

شَدَّةٌ وَتَزُولُ

فمن شأن هذه النماذج أن تبعث الطمأنينة والأمل في نفوس متلقيها، بعيدا عن كل أشكال اللهفة واليأس والإحباط السلبي، لأن الله عز وجل هو الكاشف لما يعتري العبد من ضيق أو كرب أو هم، فلا عسر إلا وبعده يسر وفتح من الله العزيز



القدير، وهي أمثال تحت على الصبر واليقين بمجيء الفرج، وهذا ما نجده في قوله تعالى: "سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا".
سورة الطلاق ، الآية 7.

وكذلك في قوله: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا". سورة الشرح، الآيتان 5- 6 .

وفي موضوع الصبر قالوا:

الصَّابِرُ يَنَالُ

الصَّبْرَ سَلَامَةً وَالطَّيِّشُ نُدَامَةً

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ

تؤكد هذه الأمثال قيمة الصبر والتجلد عند المصائب والحن، وضرورة التحلي به كلما اعتري الإنسان خطب أو كرب،
فالصبر ذكر في القرآن 90 مرة وذلك لأهميته، وحكمة ذلك تتجلى في الجزاء الأوفى الذي وعد به الصابر من الرحمان الرحيم، حيث
يقول تعالى: "وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ". سورة فصلت، الآية 35.

وقالوا عن موضوع الغبطة والتنافس :

عَانَدُ وَلَا تَحْسَدُ

إِبِلًا غَاضَكَ حَالُوا ، اِعْمَلْ بِحَالُوا

إذا كان الحسد مذموما فإن الغبطة والتنافس محمودان، إذ لا حرج أن يغبط الإنسان غيره على نعمة، متمنيا أن يكون له
مثلهما، فالله عز وجل يبيح المنافسة في الأشياء الجيدة والحميدة، قال تعالى: "حِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"
سورة المطففين، الآية 26.

وفي التعفف قالوا:

كَثُرْتُ أَعْطَيْنِي مَا تُخْلِي حَدَّ يَنْعِينِي

مَنْ عِنْدِي وَمَنْ عِنْدَكَ تَنْطَبِعْ وَلَا غَيْرَ مَنْ عِنْدِي تَنْقُطَعْ

إِذَا رَأَهُ حَبِيبُكَ غَسَلَ مَا تَلَحُّسُوشُ كَامِلٌ

ينهي هذا المثل عن كثرة الطلب والإلحاح في السؤال، لأنه سلوك يفقد محبة الناس ويعددهم، ولهذا أثنى الإسلام عن
المتعففين، ذوي النفوس العزیزة، وأدخلهم في من يستحقون الصدقات، وذلك في قوله تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" سورة البقرة، الآية 273.

وقيل في عدم التكلف :

أَطْلُقْ رَجُلِيكَ عَلَى قَدْ لِحَافِكَ

أَلْبَسَ قَدَّكَ يَوَاتِيكَ

جاء هذان المثلان في صيغة النصيح والتوجيه، حيث تحث الإنسان على ألا يحمل نفسه ما لا تطيقه، وأن يقنع ويرضى بما له وما هو متيسر له حتى لا يزيغ ويكون ذلك سببا في شقائه؛ لأن الله ييسط الرزق لمن يشاء، وله في ذلك حكمة، قال تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" سورة طه، الآية 131. وقالوا عن الكلمة الطيبة :

حَلَّ لِسَانِكَ يَنْصَلِّحُ شَأْنَكَ

كَلَامُو يَنْحَطُّ عَلَى الْجُرْحِ يَبْرًا

وتضرب لتوضح أهمية الكلم الطيب، واللسان الرطب بعذوبة القول، إذ أن الكلمة لها تأثير وسحر في القلوب، ولهذا قال المولى عز وجل: "لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" سورة إبراهيم، الآية 24 - 25. فقد شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة المثمرة، لأن ثوبها لا ينقطع، ويقبلها المولى عز وجل ويرفعها إليه كما ذكر في قوله تعالى: "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ" سورة فاطر، الآية 10.

وعليه فالأمثال دعوة صريحة للتعامل بالليونة، وعذوبة الكلام، والرد على الجاهلين بسلام القول والرد الجميل.

وقالوا في الضيافة :

الضَيْفُ مَا يَتَشَرِّطُ وَمَوْلُ الدَّارِ مَا يَفَرِّطُ

الضَيْفُ بَرَزُقُوا

الضَيْفُ ضَيْفٌ يَأْ لَوْ كَانَ يَقْعُدُ شَتَىٰ وَصَيْفٌ

هذه الأمثال توضح بجلاء، آداب الضيافة والزيارة في المجتمع الجزائري، والتي تتصف بالحفاوة والترحيب وسعة الصدر عموما، على قدر استطاعته، مع ما يتوجب معه من إكرام وإظهار الفرح بالضيف والرضا بقدمه، وذلك من باب الإيمان حيث نجد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" متفق عليه. وهي أمثال توضح آداب الزيارة في الإسلام، ومنها :

لِي جَا وَجَابَ يَسْتَهْلُ الْفَرَّاشَ وَالْوَجَابَ، وَلِي جَا وَمَا جَابَ يَسْتَهْلُ تَحْرِيشَةَ مَ الْكَلَابِ

ويعني ذلك أن أهل الدار يلقون الضيف بالترحاب والتكرم من بسط للفراش ومبالغة في تلوين الأطعمة وتفنن في تنويع المشروبات، كونه ضيف عزيز وزائر محترم يراعي أصول الضيافة ويعلم أنه إذا ألم بدار فإنه حتما سيكلفها نفقة وعناء. أما الضيف الثقيل الذي يتجاهل هذا كله فيهم دار غيره ليقم بها ويتناول فيها بعض الأطعمة مع أهلها دون أن يصحب معه هدية أو يقدم بين يديه عطية فإن جزاءه أن لا يوسع له في المجلس ولا يلين له في الطعام.

أما عن " الضيف ضيف يا لو كان يقعد شتى وصيف " فمعناه أن الضيف الذي يحل بدار أناس، ومهما طالت ضيافته فإنه يبقى ضيفا، وسيأتي اليوم الذي يغادر فيه ولا يبقى سوى مكانه.

ملاحظة: رغم ما وصلت إليه العقلية الشعبية من النضج والإبداع في إعطاء كل موقف مثلا يناسبه، ويعبر عن الحالة التي قيل لأجلها بجدارة، إلا أن هناك العديد من الأمثال الشعبية بنيت على أسس خاطئة وفكر ضيق، منها على سبيل المثال: (كل منقوص منحوس) وهذا المثل لا يستند إلى رأي واضح ثابت لأنه لا علاقة بين الصفات الجسدية والصفات الروحية للإنسان، فكثيرا ما نجد ذوي العاهات أو المنقوصين جسديا على مستوى كبير من كرم النفس، وهو الشأن ومروءة الأفعال، وسعة العلم عكس ما يدعي هذا القول .

كما تجدر بنا الإشارة إلى " أنه يمكن الحديث عن تشابه الأمثال رغم الخصوصية التي تتسم بها الشعوب، أي أنه كما تختلف الأمثال وتباين في التعبير، نجد أنها أيضا تتماثل وتشابه، ومردّ هذا التشابه في جانب كبير منه إلى حقيقة مهمة، ملخصها أن الأمثال في كل مكان وزمان، هي واحدة في جوهرها الإنساني"²⁹، فهي تنشأ من تشابه في المواقف التي تورّد فيها الأمثال؛ لتصبح متداولة في مواقف مشابهة لتلك التي قيل فيها لأول مرة.

نتائج البحث

في الختام نخلص أن الأمثال الشعبية عامة والجزائرية خاصة، هي دعامة حجاجية للتفسير والإقناع، فقد تأثرت وأثرت بطبيعة نصها وعمق دلالتها وليونة لغتها في الحقل الديني، وعيا وممارسة؛ وذلك من خلال إسهامها في تثبيت الأصول والأحكام، وترسيخ روح الدين وجوهره، وتفعيل أخلاقه وقيمه، حتى صار تداول الأمثال الشعبية ميسما اجتماعيا وفعلا تربويا بامتياز بين الأجيال، بوصفها ثروة غنية تنتمي إلى الموروث العربي، وتصلح لأن نطل من خلالها على مناح متنوعة من آداب الشعب الجزائري وعلومهم ومعارفهم؛ لأنها من أقدم الأشكال الفنية واللغوية التي تحمل دلالات حضارية، وأنماطا من الوعي المشترك والمعرفة المبكرة، فهي تعكس تطور هذا الوعي وتحولات المجتمع الذي أنتجها، فضلا عما تكتنزه من مشاعر وانفعالات في جمل مكثفة موجزة تسري بين الناس فيما يشبه القوانين.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة - دراسة أسلوبية سردية حضارية -، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2009.
- 2- إبراهيم الدسوقي عبد العزيز: اللغة في أمثالنا الشعبية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2015.
- 3- التراث الشعبي: مجلة تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، بغداد، العدد 11- 12.
- 4- جبر يحيى وزميلته: أبحاث ودراسات في الأدب الشعبي الفلسطيني، الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، قلقيلية، فلسطين، ط1، 2006.

- 5- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تعليق محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1991.
 - 6- رابح خدوسي: موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، 2002.
 - 7- الراوي محمد: موسوعة الأمثال الشعبية والعامة في الوطن العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1.
 - 8- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، 2008.
 - 9- السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
 - 10- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، دت.
 - 11- صالح بلعيد: المازيغيات، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، دت.
 - 12- عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط3.
 - 13- عبده سمير: التحليل النفسي للأقوال المأثورة، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1994.
 - 14- عبود مارون: الشعر العامي، دار الثقافة، بيروت، 1968.
 - 15- علي القاسمي: معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2001.
 - 16- الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
 - 17- ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
 - 18- المارودي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
 - 19- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1984.
 - 20- محمد جابر العلواني: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد، الأردن، الطبعة الأولى، 1993.
 - 21- محمد قنديل: وحدة الأمثال العامة في البلاد العربية، القاهرة، 1968.
 - 22- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، سوريا، 1999.
 - 23- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، القاهرة، ط3.
 - 24- أبو الهلال العسكري: جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
- 25-David Crystal, The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge university Press, Cambridge 1989, p 53

¹ عبود مارون: الشعر العامي، دار الثقافة، بيروت، 1968، ص 15.



² David Crystal, The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge university Press, Cambridge 1989, p 53.

- ³ إبراهيم الدسوقي عبد العزيز: اللغة في أمثالنا الشعبية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص 15. عن محمد قنديل: وحدة الأمثال العامة في البلاد العربية، القاهرة، 1968، المقدمة.
- ⁴ - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، سوريا، 1999، مادة مثل. وجاء فيه أيضا (والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله).
- ⁵ - عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط 1، ص 8.
- ⁶ - أبو الهلال العسكري: جوهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج 1، ص 4.
- ⁷ - الراوي محمد: موسوعة الأمثال الشعبية والعامة في الوطن العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، ص 5.
- ⁸ - عبد المجيد عابدين: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، ص 14.
- ⁹ - الرومي بشير أحمد وكمال صفوت: مركز رعاية الفنون الشعبية، الكويت، 1978، ص 18.
- ¹⁰ - عبود مارون: الشعر العامي، ص 15.
- ¹¹ - محمد جابر العلواني: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد، الأردن، الطبعة الأولى، 1993، ص 36.
- ¹² - الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج 1، ص 74. وينظر: السيوطي: الزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ج 1، ص 486.
- ¹³ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، ص 175.
- ¹⁴ - الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، 2008، ص 488.
- ¹⁵ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، دت، ج 2، ص 132.
- ¹⁶ - الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تعليق محمد شاکر، دار المدني، جدة، 1991، ص 128 - 130.
- ¹⁷ - ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ج 1، ص 291.
- ¹⁸ - علي القاسمي: معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2001، مادة (م ث ل).
- ¹⁹ - مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، حديث (5134).
- ²⁰ - البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، حديث (6873).
- ²¹ - البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسكن حديث (5221).
- ²² - مجدي وهبة و كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1984، ص 332.
- ²³ - صالح بلعيد: المازنغيات، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، دت، ص 11.
- ²⁴ - رابع خدوسي: موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، 2002، ص 5.
- ²⁵ - أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة - دراسة أسلوبية سردية حضارية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2009، ص 5.
- ²⁶ - عبده سمير: التحليل النفسي للأقوال المأثورة، دار علاء الدين، دمشق، ط 1، 1994، ص 5.
- ²⁷ - ينظر: التراث الشعبي: مجلة تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، بغداد، العدد 11-12، ص 11.
- ²⁸ - المارودي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 46-17.
- ²⁹ - جبر يحيى وزميلته: أبحاث ودراسات في الأدب الشعبي الفلسطيني، الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، قلقيلية، فلسطين، ط 1، 2006، ص 163.